International Journal of Advanced Research in Islamic Studies and Education (ARISE)
e-ISSN 2785-9088

ثمار عملية الإصلاح العاجلة والآجلة من خلال القصص القرآني للسابقين

[THE RESULT OF THE URGENT AND DEFERRED REFORM PROCESS THROUGH THE QUR'ANIC STORIES OF ELDERLY]

WALID AHMAD ABDEL HABIB ZIYAD[1*]

[1*] Fakulti Pengajian Kontemporari Islam, Universiti Sultan Zainal Abidin, 21300, Kuala Nerus, Terengganu, Malaysia.
Corespondent Email: Alziadee6@gmail.com

Received: 28 March 2022 *Accepted: 20 April 2022* *Published: 26 April 2022*

Abstract: The study will examine the methods and the confrontation between the reformer and his opponents. The Talot story is a model: an objective study. The researcher will attempt to add a contemporary Qur'anic vision by extrapolating the story of Taloot, in which he mentioned the methods of the reform process with his surrounding society. For these opponents, the purpose of the Quranic stories of his story about the history of the former nations is to link his trainee reader and seeker for his agents to light up, to link his past events with the realities of his living life, to live the reader and live on the meanings of the word of God Almighty, as if he descends on him today, God to sink into the sea of his knowledge T does not have a coast, Then we will talk about the methods of his people to repel Talut and his call for reform, and what methods of confrontation that Talut did against the intransigence of his people.

Key words: Result, Reform, Urgent, Deferred, Story of al-Quran, Elderly.

ملخص : في هذا المقال سنحاول جاهدين إبراز مدى أثر العملية الإصلاحية وثمارها الآجلة في الحياة الأخروية والعاجلة التي قام بها أتباع الأنبياء – عليهم السلام –، التي أتت من خلال القصص القرآني كما في قصة هاروت وماروت وقصة القائد طالوت وقصة هابيل وأخاه قابيل وقصة أصحاب السبت وقصة فتية الكهف وديقيانوس وقصة المؤمن مع صاحب الجنتين وقصة ذي القرنين وقصة أصحاب القرية قصة مؤمن آل فرعون وقصة أصحاب الجنة وقصة أصحاب الأخدود، إسهاماً منا لرفع نفسية المصلح المعاصر من عظم وحجم المؤامرات عليه، لذلك تناولت هذه الثمار لكي أعيد الهمم لمصلحي الأمة الأخيار، حتى يناطحوا بها القمم، لعل النائم منا أن يستيقظ، والعامل أن يشمر عن ساعد الجد، كما سيسعى المقال إلى توضيح أثر دور رسالة أتباع الأنبياء ـ عليهم السلام ـ في عملية الإصلاح والتغيير.

الكلمات المفتاحية: ثمار، الإصلاح، الآجلة، العاجلة، القصص القرآني، السابقين.

Cite This Article:
Walid Ahmad Abdel Habib Ziyad. 2022. Thimar 'Amaliyyat al-Islah al-'Ajilah wa al-Ajilah min Khilal al-Qisas al-Qur'ani li al-Sabiqin [The Result of The Urgent and Deferred Reform Process Through The Qur'anic Stories of Elderly]. *International Journal of Advanced Research in Islamic Studies and Education (ARISE)*, 2(2), 114-124.

الثمار لغة

الثَّمَرُ حَمْلُ الشَّجَرِ وأَنواع المال والولد ثَمَرَةُ القلب وفي الحديث إِذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته قبضتم ثَمَرَةَ فُؤَاده فيقولون نعم قيل للولد ثمرة لأَن الثمرة ما ينتجه الشجر والولد ينتجه الأَب وفي حديث عمرو بن مسعود قال لمعاوية ما تسأَل عمن ذَبُلَتْ بَشَرَتُه وقُطِعَتْ ثَمَرَتُه يعني نسله وقيل انقطاع شهوته للجماع وفي حديث ابن عباس أَنه أَخذ بِثَمَرَةِ لسانه أَي طرفه الذي يكون في أَسفله والثمر أَنواع المال وجمعُ الثَّمَرِ ثمارٌ وثُمُرٌ (Ibn Manzur, t.th). والمراد بها هنا نتيجة جهد القيام بعملية الإصلاح، والثواب الذي سيتحصل عليه العمل أثناء وبعد القيام بعملية الإصلاح.

تعريف القصص

لغة من قص أثره، أي تتبعه، قال الله تعالى:﴿ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ (al-Qur'an, al-Kahfi, 18: 64)، وكذلك اقتص أثره، وتقصص أثره، والقصة: الأمر والحديث، وقد اقتصصت الحديث: رويته على وجهه، وقد قص عليه الخبر قصصا، والاسم أيضا القصص بالفتح (al-Jawhari, 1987).

وتعريفها اصطلاحاً أنها: "أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة"(al-Qattan, 1421).

فقصص المصلحين السابقين في القرآن الكريم: يمكننا تعريفها بأنها:" أخبار القرآن الكريم عن أحوال الأمم الماضية من أتباع الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بصورة ناطقة لما كانوا عليه، والحوادث الواقعة، وتتبع آثار وأساليب ووسائل كل الخصوم، وحكاية عنهم طرق مواجهة هؤلاء المصلحين لخصومهم ممن لم يؤمن بأنبيائهم أو آمن بهم ولم يدخل الإيمان في قلوبهم" ولذا نجد سيد قطب رحمه الله تعالى ذكر تعريفاً للقصة القرآنية فقال: "والقصة من ناحية الأداء تمثل إحدى طرق الأداء الفني للقصة في القرآن وفيه مفاجآت مشوقة، كما أنَّ فيه سخرية بالكيد البشري العاجز أمام تدبير الله وكيده، وفيه حيوية في العرض حتى لكأن السامع –أو القارئ –يشهد القصة حية تقع أحداثها أمامه وتتوالى"(Sayyid Qutub, 1423).

ثمار عملية الإصلاح العاجلة في الدنيا

القرآن الكريم بيَّن في قصصه التي يحكيها عن أتباع الأنبياء عليهم السلام أنه بعد أن يعرض أحداثها التي تتناول أساليب الخصوم المليئة بأمراض التكذيب والنكران والكيد العظيم، تجده يختم المقاطع بالمآلات والثمار التي تنتج بعد عمليات الإصلاح والتغيير التي قاموا بها المصلحين، وهي كالآتي:

استجلاب ولاية الله عز وجل والتأييد الإلهي.

كما رأينا في القصة المذكورة في سورة القلم تعزيز مفهوم جليل وعظيم، وهو تأييد الله عز وجل للأب الصالح الذي كان متخصصا لإثراء المجتمع اقتصادياً، ولكن لما حاد أبناؤه عن طريق والدهم بالسعي لإفقار المجتمع بمنعه حق الله تعالى، أرسل لهم العذاب تأييداً لفعل والدهم، ليذكرهم بأن مايفعله أباهم هو الحق، كما قال تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾، فأعظم آثار ولاية الله تعالى للعبد، وأطيب ثمارها: الهداية للحق، والخروج من ظلمات الكفر والجحود والنفاق إلى نور الإيمان ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (al-Qur'an. al-Baqarah, 2: 257).

ومن آثار ولاية الله تعالى للعبد: محاربته تعالى من يعادي أولياءه، ودفاعه سبحانه عنهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الحج: 38، وفي الحديث القدسي: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ» (al-Bukhari, no. Hadis: 6502).

وهذا شرف عظيم، ومقام كريم رفيع، أن يعلن الخالق سبحانه حربه دفاعا عن أوليائه، ويتوعد من يؤذونهم ويعادونهم، وويل لمن حاربه الله تعالى، كيف يفلت منه؟"" فمن يحتاج إلى الولاية الحقة فليلجأ إلى الله، وهو سبحانه يفيض على الأوفياء لمنهجه من الولاية. ونجد التعبير القرآني الدقيق: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ﴾ (al-Qur'an. al-Baqarah, 2: 257)، فهو سبحانه يقرب من عباده المؤمنين، والمؤمنون يقربون من الله تعالى في قول الحق سبحانه: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (al-Qur'an, Yunus, 10: 62)، فبطلاقة قدرته سبحانه إذا رأى في إنسان ما خصلة من خير، فيكرمه أولا، فيصير هذا العبد طائعا من بعد ذلك"(al-Sha'rawi, t.th).

العزة للمصلحين

إن من ثمار العمل للإسلام وخدمة المسلمين هي العزة التي هي من صفة الله العزيز، يقذفها الله عز وجل في قلوب عباده المصلحين كما رأينا عبر كثير من القصص القرآني كيف أن الله قذف العزة في قلب طالوت القائد الحكيم وذي القرنين الحاكم القوي، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾" فعزّة الله سبحانه قهر من دونه، وعزّ رسوله إظهار دينه على الأديان كلّها، وعزّ المؤمنين نصره إيّاهم على أعدائهم فهم ظاهرون(al-Naysaburi, 1422). فلو أن العزة بضاعة تباع لتنافس عليها طلابها ولتهافت عليها الناس، ولدفعوا عليها الكثير من المال للحصول عليها، فانظر إلى العزة في تاريخنا العظيم، ففي"عام 187هـ كانت الروم عليهم امرأة تَملكهم، فخلعوها وملَّكوا عليهم "نقفور"، فكتَب إلى هارون الرشيد: من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب، أما بعد: فإن الملكة التي كانت قبلي أقامتك مقام الرخ، وأقامتْ مقامها مقام البيدق، فحملت إليك من أموالها ما كنتَ حقيقًا بحمْل أمثاله إليها،

لكن ذلك ضَعْف النساء وحمقهنَّ، فإذا قرأتَ كتابي، فارْدُد ما حصَل لَك من أموالها، وافتدِ نفسَك، وإلاَّ فالسيف بيننا وبينك، فلمَّا أن قرأ الكتاب، استفزَّه الغضب، حتى لَم يمكن أحدًا أن ينظرَ إليه دون أن يخاطبه، وتفرَّق جلساؤه خوفًا، واستعجم الرأْي على الوزير من أن يُشير عليه أو يتركه برأْيه، فدعا بدَوَاةٍ وكتَب على ظهْر الكتاب:بسم الله الرحمن الرحيم، من هارون أمير المؤمنين إلى "نقفور" كلب الروم، قد قرأتُ كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه دون أن تسمعه، والسلام، ثم سار من يومه، حتى أناخَ بباب هرقلة، ففتَح وغنِمَ، واصطَفَى، وخرَّب وأحرَّق، فطلَب نقفور الموادَعة على خِراج يؤدِّيه في كل سنة، فأجابَه إلى ذلك" (Ibn Kathir, 1988).

استجلاب النصر والتمكين:

لقد قاد طالوت بني إسرائيل بتدبيره وتأييد الله له إلى نصر محقق، وتغلَّب هو والقليل الثابتون معه على أقوى قوة واجهة بني إسرائيل في ذلك الزمن، وهي قوة جالوت وجنوده، فيبرز من بين جنود طالوت غلام مجاهد صاحب فضل في المعركة، ألا وهو داود عليه الصلاة والسلام. "إن التمكين تفعيل من المكان، وهو إقرار الشيء وتثبيته في مكان، وهو يأتي في القرآن الكريم بصيغة الفعل المسند إلى الله عز وجل، فهو وحده من يمكِّن الإنسانَ لما يشاء، ومن يمكِّن للإنسانِ ما يشاء. والناظر في موارد هذا اللفظ، يميز بين صيغتين له: صيغة التمكين في الشيء، وصيغة تمكين الشيء، الأولى : خاصة بالتمكين في الأرض، والثانية عامة: تشمل تمكين الدين والقوة والسلطة والمال، كما في قوله عز وجل: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءاتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً﴾ (al-Qur'an, al-Kahfi, 18: 82)، وقوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الاَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَاراً وَجَعَلْنَا الاَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً اخَرِينَ﴾ (al-Qur'an, al-An'am, 6: 6)" (Zamrad Faridah, 2010).

وإن من أهم عوامل النصر التي يجب أن نَعِيَها في هذه المرحلة وَحْدة الأمة وتماسُك صفوفها، واجتماع كلمتها؛ فالعدو لَم يتمكَّن منَّا إلاَّ بعد أن تَمَكَّن من تمزيق وَحْدتنا: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾-al) Qur'an, Ali Imran, 3: 103)، والقرآن الكريم مليئ بالتحذير من سبيل المجرمين وأساليبهم وأدوات فسادهم، حتى ننتبه ويكون النصر للأمة الواعية بحقيقة مكائدهم قال ابن كثير: "يحذر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طرائق الكفار من أهل الكتاب، ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر، وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين، مع علمهم بفضلهم، وفضل نبيهم (Ibn Kathir, 1999)".

الاستخلاف في الأرض

فلو تتبعنا القصص القرآني كما في قصة طالوت عليه السلام، لوجدنا أن الله عز وجل استخلفه بعد سلسلة غير متناهية من الأساليب التي قاوم بها قومه، وهذه النتيجة محققة بعد اليقين بالله عز وجل، قال د.وهبة الزحيلي كلاماً جميلاً أنقله بنصه، " لا يصح للمؤمنين المجاهدين أن يضجروا من مكافحة الأعداء، ولا ييأسوا من الحظوة بمظلة الإيمان، والبعد من الخوف على أنفسهم، لأنه في النهاية ستتحقق لهم الثمرة اليانعة، وهي الاستخلاف في الأرض، فقد وعد الله الذين آمنوا بحق، وعملوا صالح الأعمال أن يستخلفهم في الأرض، واستخلافهم: هو أن يملّكهم البلاد، ويجعلهم أهلها، كما جرى في الشام والعراق وخراسان والمغرب، وقد تحقق هذا الوعد الإلهي، لأن وعد الله منجّز، ففتحت الفتوحات الواسعة، في البلاد المختلفة، في مسيرة الفتح الإسلامي الظافر، ووعد الله المؤمنين أيضا التمكين لدينهم الذي ارتضاه لهم، وهو جعل دين الإسلام مكينا ثابتا في الأرض، قويا عزيزا، مهيبا في كل مكان، مرهوب الجانب من الأعداء، منصورا على الأعداء" (al-Zuhayli, 1418).

وقال الدكتور حجازي حفظه الله وفك الله أسره، " اعلم يا أخى أن المؤمنين بالله في كل عصر وزمن قلة بالنسبة لغيرهم، ليعلموا أن النصر والنهاية الحسنة لهم ما داموا مؤمنين عاملين، ولقد وعد الله المؤمنين أن يخلفهم في الأرض وأن يمكن لهم في دينهم وأن يبدل خوفهم أمنا إذا آمنوا إيمانا عميقا، وعملوا عملا وثيقا، وعبدوا الله عبادة خالصة يتحقق فيها قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾" (Hijazi, t.th).

فالاستخلاف في الأرض غاية منشودة يجب على كل من حمل هم الدين أن يسعى لتحقيقها بكل ما أوتي من وسائل مشروعة، وأن يكرس لها وقته وجهده وكل مايملك لتحقيق خلافة الله في الأرض.

الأمن والاستقرار.

فهي نعمة يجب على المصلح أن يسعى لتحقيقها لأنه في ظلال الأمن تُعمَر المساجد وتقام الصلوات، وتُطَبق شريعة الله، وتُنشَر الدعوة إلى الخير، وفي رحاب الأمن يسود الاطمئنان، ويعم الخير والرخاء، ومن هنا لا بُد أن ندرك أن نعمة الأمن لا تدوم إلا بدوام أسبابها، وهنا عدة أنواع من الأمن منه الأمن الفكري: " ولقد تعرضت أمتنا الإسلامية عبر القرون وما زالت لغارات من أعدائها بقصد تشكيك أبنائها في عقيدتهم ومسخ هويتهم وحملهم على الانسلاخ من مبادئهم وقيمهم وزعزعة أمنهم، وذلك بما يلقيه أعداء الإسلام اليوم من شبهات وشهوات، ونحن نعيش اليوم في عصر تواصل نتج عنه تدفق للثقافات وتعدد لمنابع التلقي"(al-Huzayli, t.th).

ومنه الأمن النفسي والجسماني: " إن الأمن هو العمود الفقري الذي تقوم عليه حياة الشعوب وترقى وتتطور به المجتمعات كافة، فالإسلام دين الأمن والسلام وأنه يتصدى للعنف بأشكاله لجميع الحضارات، فهو لكل زمان

ومكان، قال تعالى: ﴿يأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾، أن الإسلام من اسمه جاء من أجل السلام وطمأنة البشرية كافة بعيداً عن النظرة السلبية التي رسمها الغرب ضد الإسلام والمسلمين، وما أثبته تقرير مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الذي أثنى على كتاب المفكر القبطي د.نبيل لوقا بيباوي بعنوان: (الإرهاب صناعة غير إسلامية)، والذي أوصى بنشره وترجمته إلى لغات العالم، يقول فيه أن الدين الإسلامي براء بالأدلة القاطعة من تهم الإرهاب" (Ibn Kathir, 1999).

الترابط الاجتماعي بين أفراد المجتمع الإسلامي

فهو نتيجة يسعى إليها المصلحون دائما، فنجد في قصة هاروت وماروت، اللذين كانا يسعيان في كشف حقيقة السحر وضرره على المجتمعات، وأن من أكبر أضراره أنه يسعى في التفريق بين الأسرة الواحدة التي هي اللبنة الأولى للمجتمع، والتي لا تقوم المجتمعات إلا بها وبالمحافظة على قوامها، ولذالك نجد أنه " عندما هاجر الرسول – عليه الصلاة والسلام – إلى المدينة كانت المؤاخاة بين المسلمين مِن أُولى الركائز التي اعتمد عليها في بنائه لمجتمع المسلمين، وقال لأصحابه من المهاجرين والأنصار: ((تآخوا في الله أخَوينِ أخوينِ))، فكان هذا التآخي، بما انبثق عنه مِن ترابط وتكافل اجتماعي وإيثار نادِر في تاريخ البشريَّة كله، كان هذا التآخي "تجربةً رائدة" في تاريخ العدل الاجتماعي، ضرَب فيه الرسول – عليه الصلاة والسلام – مثلاً على مرونة الإسلام وانفتاحه – في الظروف المناسبة – على أشدِّ صور العلاقات الاجتماعية مساواةً وعدلاً" (al-Qisi, 2020).

"والأُخوَّة الإسلامية أساسًا تقوم عليه كلُّ صور التكافل والتراحم بين المسلمين، وهي تجسيد لقوله –تعالى –في وصف المؤمنين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (al-Qur'an, al-Hujurat, 49: 10)، ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (al-Qur'an, al-Fath, 48: 29)، إن الأخوة الإسلامية هي: التطبيق العقَدي والشرعي والأخلاقي للتكافُل الاجتماعي الإسلامي العام، وهي فرض كفاية على الجميع، وفرض عين على الأقربين مكانًا ورحمًا وصِلةً بالمحتاجين" (Afifi, 1407').

الانتقام للمصلحين من خصومهم في الدنيا والآخرة

لو تفكرنا في بعض القصص التي درست، لوجدنا أن المولى جل جلاله وتقدست أسماؤه ينتقم للمصلح في الدنيا قبل الآخرة، يقول ابن عاشور: "رجوعاً إلى قصة أصحاب القرية بعد أن انقطع الحديث عنهم بذكر الرجل المؤمن الذي جاء من أقصى المدينة ناصحاً لهم، وافتتاح قصة عقابهم في الدنيا بنفي صورة من صور الانتقام تمهيداً للمقصود من أنهم ما حل بهم إلا مثل ما حل بأمثالهم من عذاب الاستئصال، أي لم ننزل جنوداً من السماء مخلوقة لقتال قومه،

أو لم ننزل جنودا من الملائكة من السماء لإهلاكهم، وما كانت عقوبتهم إلا صيحة واحدة من ملك واحد أهلكتهم جميعاً " (Ibn, Ashur, 1997).

ولذلك لايجب أن يفكر المصلح في عاقبة من ظلمه وأذاقه العلقم المر في مسيرة حياته الدعوية، لأن الله عز وجل هو الذي سيتكفل بعقاب الظالمين في الدنيا قبل الآخرة، وإذا أخذ الله الظالم لم يفلته، وكما قيل بشر القاتل بالقتل ولو بعد حين

النجاة من مكر الماكرين

من ثمار عملية الإصلاح أن تكون سبباً في نجاة المصلح من كيد الماكرين، والمخططين لهم بكل سوء، فانظر إلى مصير الرجل المؤمن من آل فرعون حيث حفظه الله، وحماه في الدنيا، من سوء مكرهم، وتآمرهم على قتله، وأحاط سوء العذاب بآل فرعون في الدنيا بالغرق في البحر، فليستبشر كل من سار في قافلة الإصلاح أن يمنحه الله الثبات على الدين ويزيده في نفسه قيماً عليا وأخلاقاً حسنة، ويهبه الله قوة بالتمسك بالدين جزاءً لجهوده، واقرأ إن شئت في أخبار العلماء الربانيين، الصالحين المصلحين، كإمام أهل السنة (أحمد بن حنبل) الذي نصر الله به الدين يوم فتنة خلق القرآن، فكانت الثمرة له أن ثبته الله على الدين ومنحه الصبر على فتنة السجن والجلد، وهيأ الله عز وجل أناساً يعينوه على الثبات.

تهذيب النفوس

فمن ثمار عملية الإصلاح أن فيها تهذيباً للنفوس وتزكيةً لها، وهنا نلتمس هذا المفهوم من قصة الإخوة أصحاب الجنة المذكورين في سورة القلم، حينما كان أخوهم الأوسط من ضمن من وضع المخطط في منع الفقراء من حقهم المعلوم، لكنه بنصحه لهم وبرجوعه عن الحق كان سببا في تزكية نفسه، وتأثر إخوانه معه، قال تعالى: ﴿قالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لا تُسَبِّحُونَ & قالُوا سُبْحانَ رَبِّنا إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ﴾ (al-Qur'an, al-Qalam, 68: 28-29)، قال تعالى في الحكمة من إرسال نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ (al-Qur'an, Ali-Imran, 3: 164)، ومن هذا المنطلق النبوي يجب أن نعلم أن من أعظم واجبات المصلحين تزكية النفوس وتربيتها على المعاني الإيمانية والتربوية التي جاءت في الشريعة الإسلامية؛ لأن القاعدة الربانية تقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (al-Qur'an, al-Ra'd, 13: 11). فالدعوة إلى الله عز وجل طريق إلى تهذيب نفوس أصحابها، وسبب من أسباب الرقي بها.

أنها توقف تيار الفساد أو تقلل منه

وهذا الهدف الرئيسي من القيام بعملية الإصلاح كما ورد في جميع القصص القرآني، لأن الحق قوي وفيه عوامل، وكما أن هناك تيارات وجهوداً لأهل الفساد كالمنصرين وأصحاب الديانات الأخرى وغيرهم من المفسدين من أصحاب الشهوات الذين ينشرون الشهوات عبر وسائل الإفساد، فيجب أن يقوم المصلحون على كافة المستويات وفي جميع الأبواب المتاحة لإيقاف هذا المدّ الإفسادي المعلن في العالم بأسره، قال الزحيلي رحمه الله تعالى متحدثا عن ثمار الإصلاح في دنيا الناس: "من المعلوم أن رسالة الإسلام رسالة إنقاذ وإصلاح للمجتمع، وغرس لمبادئ الفضيلة والخصال الكريمة في النفوس المسلمة، ومهمة النبي صلّى الله عليه وسلّم تبليغ الأحكام والشرائع لأمته، فإذا ما امتثلوا هذه التعاليم كانوا مثال المجتمع الفاضل، وتخلصوا من مفاسد الجاهلية البدائية وضلالاتها الموروثة، وبنوا حضارة جديدة قائمة على الحق والعدل والإحسان والأخلاق الفاضلة" (al-Zuhayli, 1418).

الثمار الآجلة في الآخرة

كما أن الدعوة ونشر الخير بين أفراد المجتمعات له ثماره ونتائج رائعة في الدنيا، توجد لها أيضاً ثمار يانعة في الآخرة، لذلك أحببتُ بذكر هذه الثمار أن أعيد الهمم لدعاة ومصلحي الأمة، حتى يناطحوا بها القمم، فنذكر فضائل الإصلاح وما أعده الله سبحانه وتعالى للعاملين في مجال الإصلاح والبيان وتعليم الخير، لعل النائم أن يستيقظ، والعامل أن يشمر عن ساعد الجد، سائلاً المولى أن يجعلنا ممن يحمل هم هذا الدين ويسعى إلى نشره في الآفاق بمنهجه الصحيح، وإليك ثماره في الآخرة وهي:

أ. نيل الأجور والثواب العظيم لمن يقوم بمهمة الإصلاح عن أبي مسعود الأنصاري قال جاء رجل إلى النبى –صلى الله عليه وسلم–فقال إني أبدع بي فاحملني فقال «ما عندي». فقال رجل يا رسول الله أنا أدله على من يحمله فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم «من دل على خير فله مثل أجر فاعله» (Muslim, t.th, no. Hadis: 5007)

ب. ثناء الله جل وعلا وصلاة الملائكة على من يصلح للناس تعليمهم ويرفع الجهل منهم، عن أبي أمامة الباهلي قال: ذكر لرسول الله صلى الله عليه و سلم رجلين أحدهما عابد والآخر عالم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في حجرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير) (Tirmizi, t.th, no. Hadis: 5007)، ويقول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (al-Qur'an, Fussilat, 41: 33)، هذا بيان لشرف الداعية إلى الله تعالى، الحريص

على هداية الخلق والساعي بنهم لنشر الخير، والحرص على هداية الخلق عبادة عظيمة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (نضر الله امرأ سمع مقالتي فبلغها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه) (Ibn Majah, t.th, no. Hadis: 230) .

ج. أنها سبب لرحمة الله تعالى، ذكر الله عز وجل جزاء الرحمة بعد سلسلة عظيمة من أعمال القربة منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ (al-Qur'an, al-Tawbah, 9: 77)، " هذه هي صفات أهل الإيمان، إنها صفات إيجابية سامية، تخدم الفرد والجماعة، والأمة والمجتمع، ذكرها الله تعالى ترغيباً في الإيمان، وتنشيطاً له، وتلطفاً من الله تعالى للمصلح، مع ذكر مقارنة واضحة بين المؤمنين والمنافقين، فبين المؤمنين ولاية في الله خاصة ومناصرة لمبدأ الحق والعدل والفضيلة، وتعاون فيما بينهم وجزاؤهم الجنة" (al-Zuhayli, 1418)، فانظر كيف جعل الله الرحمة لأولئك الذين يقومون بالإصلاح بين عباده والسعي لبناء أرضه. أن عملية الإصلاح سبب للفوز بخيرية الأمة كما قال تعالى﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (al-Qur'an, Ali Imran, 3: 110)، قال الإمام ابن كثير (Ibn Kathir, 1999): : "فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا الثناء والمدح لهم، كما قال قتادة: بلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله فيها، ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله: ﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾"(al-Qur'an, al-Ma'idah, 5: 79).

هـ. أن أجر الإصلاح يبقى للمصلح حتى بعد موته، كما قال صلى الله عليه وسلم :(من دل على هدى فله من الأجر مثل أجور من تبعه) (al-Tabrani, t.th, no. Hadis: 861) .

و. تكون سبب لمحبة الله تعالى، كما قال صلى الله عليه وسلم: (أحب الناس إلى الله أنفعهم) (al-Tabrani, t.th, no. Hadis: 861)، ولا شك أن أعظم النفع للناس هو نفعهم في تصحيح معتقدهم ودينهم ورفع مستوى الإيمان لديهم وتزكية أخلاقهم وسلوكهم ومحاربة الباطل والشهوات التي تعترضهم.

ز أنها سبب لإنقاذ الناس من النار، قال صلى الله عليه وسلم: (مثلي كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي يقعن في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فذلك مثلي ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار: هلم عن النار هلم عن النار فتغلبوني فتقتحمون فيها) (Muslim, t.th, no. Hadis: 6097).

النتائج

1. تبين من خلال القصص أن عمليات الإصلاح غالبا ما تكون في المجتمعات الكبيرة التي تعج بالأفكار والمعتقدات الخاطئة، أو لتصحيح قيم سابقة أو تقييم سلوك وحتى في الأسرة التي هي أساس المجتمع.
2. تبين إنَّ لعملية الإصلاح التي يقوم بها العلماء الربانيون والقادة المصلحون في المجتمعات ثماراً طيبة المذاق، متجذرة الأصول في الأرض، يانعة الظلال في السماء، فمقام عملية الإصلاح في شريعة الإسلام عظيمةٌ جداً، لأنها أساس انتشاره، وركنٌ مهمٌ من أركان قيامه.
3. من خلال هذا المقال يتضح لنا جلياً أن الله عز وجل أورد لنا ثمار هذه العملية بعد كل قصة من أجل أن يرسم كل مصلح طريقه التي سيسير عليها، والنتائج والثمار التي سيتحصل عليها.
4. تبين من خلال القصص تنوع ثمار عملية الإصلاح التي قام بها السابقين، فقد تنوعت فيها الثمار إلى آجلة يتحصل عليها العامل في الآخرة، وإلى عاجلة يتذوق ثمارها في الدنيا، فكأنها كانت تعطينا عبرة مهمة وهي كل ما زاد الابتلاء زاد الأجر والثواب.
5. جعل الله جل وعلا لعملية الإصلاح ثمار عاجلة في الدنيا لأن النفس البشرية تميل إلى العطاء المباشر والسريع، ولأن عملية الإصلاح صعبة وطريقها شاق، فالله عز وجل أثاب العاملين في حقل الإصلاح بالنصر والتمكين، حتى يتحفز الآخر باللاحق، وحتى يتم طرد كثير من أمراض القعود والتثاقل إلى الأرض.

التوصيات

1. علم القصص القرآني علم قديم يحتاج إلى تنزيله للواقع المعاش، حتى يكون أكثر تأثيرا في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، فلايكون قصصا تتلا لجلب الراحة وقضاء أسعد الأوقات معها، بل يجب أن تصرف فيه الأوقات للغوص في أسرار معانيه، والعيش معها بواقعية ومعاصرة تامة، لكي يجمع الباحث في هذا العلم بين المعاصرة والأصالة.
2. يجب على الدعاة في هذا العصر الذي يراد لأهله المسلمون أن يغربوا من تاريخهم المجيد ، أن يكافحوا من أجل تذكير أمتهم بماضيهم التليد ، ويذكروا المسلمين بخطط أعدائهم الذين لايهدئون حتى إطفاء وهج ونور هذا الدين.

REFERENCES

Al-Qur'an al-Karim

'Afifi, Muhammad al-Sadiq. 1407. *Al-Mujtama' al-Islami wa Huquq al-Insan Silsilat Da'wah al-Haq*. Makkah al-Mukarramah: t.pt.

Hijazi, Muhammad Mahmud. t.th. *Al-Tafsir al-Wadih*. t.tp.: Dar al-Jayl al-Jadid.

Al-Huzayli, Majid bin Muhammad bin 'Ali. t.th. *Mafhum al-Amn al-Fikri "Dirasah Ta'siliyyah fi Daw' al-Islam*. t.tp.: Jami'at al-Imam Muhammad bin Sa'ud al-Islamiyyah.

Ibn 'Ashur, Muhammad Tahir. 1997. *Al-Tahrir wa al-Tanwir*. Tunis: Dar Sahnun li al-Nashr wa al-Tawzi'.

Ibn Kathir, Abu al-Fida' Isma'il bin 'Umar al-Qurashi al-Dimashqi. 1988. *Al-Bidayah wa al-Nihayah*. t.tp.: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.

Ibn Kathir, Abu al-Fida' Isma'il bin 'Umar al-Qurashi al-Dimashqi. 1999. *Tafsir al-Qur'an al-'Azim*. t.tp.: Dar Tayyibah li al-Nashr wa al-Tawzi'.

Ibn Majah, Abu 'Abd Allah Muhammad bin Yazid al-Qazwini. t.th. *Sunan Ibn Majah*. t.tp.: Maktabah Abi al-Ma'ati.

Ibn Manzur, Muhammad bin Mukram bin Manzur al-Ifriqi al-Misri. t.th. *Lisan al-'Arab*. Bayrut: Dar Sadir.

Al-Jawhari, Isma'il bin Hammad. 1987. Al-Sihah *Taj al-Lughah wa Sihah al-'Arabiyyah*. Bayrut: Dar al-'Ilm li al-Malayin.

Muslim, al-Hajjaj Abu al-Hasan al-Qushayri al-Naysaburi. t.th. *Al-Musnad al-Sahih al-Mukhtasar bi Naql al-'Adl 'an al-'Adl ila Rasul Allah Salla Allah 'alaih Wasalam*. Bayrut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabiyy.

Al-Qattan, Mana' bin Khalil. 1421. *Mabahith fi 'Ulum al-Qur'an*. t.tp.: t.pt.

Al-Qisi, Shakir Karim. 2020. Al-Takaful al-Ijtima'i. *Mawqi' al-Hiwar al-Mutamadan* 19(52): 6523.

Sayyid Qutub, Ibrahim. 1423. *Fi Zilal al-Qur'an*. Misr : Dar al-Shuruq.

Al-Sha'rawi, Muhammad al-Mutawalli. t.th. *Tafsir al-Sha'rawi*. t.tp.: t.pt.

Al-Tabrani, Abi al-Qasim Sulayman bin Ahmad al-Lakhmi. 2012. *Al-Mu'jam al-Saghir*. t.tp.: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Al-Tirmizi, Muhammad bin 'Isa Abu 'Isa al-Salmiyy. t.th. *Al-Jami' al-Sahih – Sunan al-Tirmidhi*. Bayrut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabiyy.

Zamrad Faridah. 2010. Mafhum al-Tamkin fi al-Qur'an al-Karim. Retrieved from: https://www.maghress.com/almithaq/3000.

Al-Zuhayli, Wahbah Mustafa. 1418. *Al-Tafsir al-Munir fi al-'Aqidah*. Dimashq: Dar al-Fikr al-Mu'asir.